الأنا والآخر في شعر ابن الجياب

أ.م. ليلـــى مناتـي محمـود

كلية اللغات / جامعة بغداد

Laylamnite@colang.uobaghdad.edu/iq

07712210849

تاريخ الاستلام : 2021-01-14

تاريخ القبول : 2021-02-28

ملخص البحث

إن الترابط الجدلي بين (الأنا) و(الآخر) يبقى محوراً رئيساً، لا يمكن تجاهله، فالوعي بـ (الأنا) لا يتحقق إلاّ بوجود (الآخر)، وصورتنا عن ذاتنا لا تتكون بمعزل عن صورة الآخر لدينا، كما ان كل صورة للآخر تعكس . بمعنى ما. صورة للذات . ان العلاقة بين الأنا والآخر هي حجر أساس لأي نص، كما انها علاقة تتغير باستمرار، فلا يمكن صياغتها بشكل ثابت، وهذا ما نجده في شعر ابن الجياب، فقد تنوعت صور الأنا لديه ، التي تشير الى ما استفز ذات الشاعر في تواصلها مع الآخر، وما وجده في الآخر من انعكاس لذاته.

الكلمات المفتاحية: الانا والاخر ، الادب الاندلسي ،ابن الجياب

The ego and the other in the poetry of Ibn al-Giaab

Prof. Layla Minati Mahmoud

College of Languages / University of Baghdad

Receipt date: 2021-01-14
Date of acceptance: 2021-02-28

Abstract

A big emphasis that should not be overlooked remains the dialectical interconnectedness between the (ego) and the (other). And just as each image of the (other) represents, in a certain aspect, a self-image, our self-image is not created in isolation from the image we have of the (other). Any text's basis is the connection between (the ego) and (the other). Since it is a complex interaction, it cannot be formulated statically, which is what we see in Ibn Al Giab's poetry. His depictions of the (ego) differed, demonstrating what motivated the same poet to engage with the (other) and what he learned in the (other) by self-reflection.

المقدمة:

المقدمـــة:

تشكل العلاقة بين الأنا والآخر جدلية قائمة في الحياة، فالإنسان بطبيعته كائن اجتماعي لا يمكنه ان يحيا من دون الآخر، أي بمعنى الوعي بوجود الآخر المغاير، ومعرفة السمات المميزة، والحدود الفاصلة بين الأنا والآخر، التي تستدعي البحث عن، مسألة آليات التشكيل الداخلي للهوية نفسها، وآليات صيرورتها المستمرة، ومن ثم مقاربتها للآخر ونظرتها إليه، وهي من أقدم حقائق الوجود البشري وأرسخها وأوضحها ، وهذا أمر يمكن افتراض تواصله مع ظاهرةٍ تحدث عنها الفلاسفة حين قالوا " ان العقل يدرك الحقيقة عن طريق الثنائية، وكأن الانسان يعيش في صراعٍ محوره بؤرة ثنائية: (حضور، غياب) في حين عند المتصوفة والعرفانيين ثنائية(الأنا والوجود)"(عبد القادر فيدوح، 2009، ص14). وقد جاءت هذه الدراسة لتقف على أبعاد تلك العلاقة في شعر أبن الجياب، إذ تملكتني الرغبة في الوقوف على طبيعة تلك العلاقة بين ابن الجياب والآخر الذي كان نداً له، وقد اعتمدت المنهج التحليلي، الذي يقوم على استلهام النص الشعري واستقرائه، مع العناية بظروف مُبدع النص والمؤثرات الخارجية لآجل ادراك النص بشكل واسع . ومن هنا جاء تقسيم البحث على مباحث عدة تتحقق فيها مقاصد البحث ، الاول : يتحدث عن الأنا والفخر، أما الثاني : فيتناول الأنا والآخر (المكان)، والثالث: يتحدث عن أنا التفكر والحكمة ، والرابع: الأنا وآفاق رؤية الحياة والموت ، اما الخامس :الأنا والآخر (المرأة).

التمهيـــد :

الأنا : تمثل الجانب الواعي من الشخصية الانسانية، وهي تمثل حلقة الوصل بين ذات الفرد والعالم الخارجي(ينظر: ، أنس شكشك، 2009، ص30)، أما الآخر "متعلق بالذات تعلقاً لا فكاك منه شأنه في ذلك ارتباط الحياة بالموت"(، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، 2007، ص21-22). فالذات الانسانية تدرك نفسها حين تتعامل مع الآخر، إذ تتشكل ويُعاد تشكيلها في المواجهة مع الآخر(ينظر: ماجدة حمود، 2010، ص9). ولاشك ان الشاعر يبدأ حديثه عن الذات، لأنها أقرب شيء إليه قبل حديثه عن الآخر(الحقيقي او المفترض)، فالآخر الذي تخاطبه(الأنا) ليس بالضرورة موجوداً في الحقيقة، بل يمكن للمقدرة الفنية التي

يمتلكها الشاعر ان تخلق آخر وتُسبغ عليه من عالم الخيال ما يجعل من التجربة كأنها حقيقية.إن العلاقة بين الأنا والآخر لا يمكن صياغتها بشكل ثابت، وإنما هي علاقة متغيرة متنوعة بتنوع الرؤى والمواقف والتجارب التي يخوضها الشاعر، فـ " الآخر قد يكون آخراً في الدين، او اللغة، او السياسة، او الحضارة، او العرق، وقد تنشطر الذات "أنا "و"نحن" وتتحول ال"نحن" الى "آخر" ومن الممكن أن تنعدم "الأنا" في "النحن"، لتكونا معاً ذاتاً واحدة في مجابهة الآخر"(احسان الديك، 2003، ص30). فنحن بقدر ما نمد أيدينا الى الآخر من أجل بناء ذاتنا والتخلص من عزلتنا القاتلة نفقد ذواتنا في الاخر، وهكذا عبثاً نحاول استرجاعها، فالإنسان بطبيعته كائن اجتماعي لا يمكنه العيش بمفرده من دون ان يتواصل مع الآخرين، إذ ان الوجود بدون الآخرين هو نفسه صورة الوجود مع الآخرين، بمعنى ان الشعور الفردي لا ينطوي على انفصال عن عالم الغير وكما انه ليس ثمة "ذات" بدون العالم، فأنه ليس ثمة "ذات" بدون الغير(ينظر:زكريا ابراهيم، ص153). إن وجود آخر يقتضي وجود أنا ازاءه، إذ إن الشرط الرئيس الذي لابَّد منه لكي يوجد آخر، حتى ولو لم يكن الشرط الوحيد هو وجود "انا"(طالب الرفاعي، 2010، ص192).

1- أنا الفـــخر :

يعد الفخر مقدرة إنسانية وتعبيراً عن أمكانية الشاعر في تقديم صورة مثلى عن الصفات والقيم، التي يريد الحديث عنها، وظاهرة الفخر تجعل (أنا) الشاعر متواصلة مع (الآخر)،فتخاطبه وتحاوره وتجعله (البؤرة التي يرتكز عليها النص الابداعي، فـ(الأنا) يمكن ان تخاطب نفسها بطريقة غير مباشرة ، وذلك عندما تجد هذا الخطاب مستمراً عبر افعال يصوغها ليعبر بها عن استمرارية الحوار التي يفصح بها الشاعر عن ذاته، ويعلن عن نفسه بواسطة ضمير المتكلم(عبد الحافظ خلف صالح، 2012، ص36). ولو نظرنا الى قصائده المدحية التي قالها في ملوك بني الاحمر، لوجدنا انه اولى الملوك عناية كبيرة بإبراز نسبهم والتغني به والاهتمام بالصفات السياسية للممدوح، ولا غرو في ذلك، فهو رجل الوزارة والقريب الى صناع سياسة الدولة، وبذلك فإن العلاقة بين الأنا" و "الآخر" في منحى ومساقٍ واحد، فيقول (ديوان ابن الجياب ، ص156):

ووزارةٌ يُنبت على رضوانهِ	كرمت شمائلها وطاب العنصرُ
وسماحةٌ قد بُلغتْ ما يرتجي	وسياسـةٌ قد أمنـتْ مـا يحذرُ
ورئاسةٌ رُفِعَتْ قواعد حُكمها	وعَلالها فوقَ الكواكب مظهرُ
قامت بحذق صارم وبراعة	و بها القضايا المشكلات تفسر

يتراءى لنا ان الشاعر من خلال خطابه لـ(الآخر)، قد جعل (أناه) تمتد متجاوزة فرديتها لتتحد مع الآخر(الممدوح)، فيتغنى بما تتمتع به (أناه) من مقومات الرئاسة والرفعة والسماحة، أما الآخر فلم يكن مختفياً تماماً، لأن (أنا) الفخر توجه خطابها اليه وتشهده على حذقه وقيادته الحكيمة. ويتنامى التواصل لـ(الأنا) مع (الآخر)، فيقول(ديوان ابن الجياب):

لا فخر إلا أنت جامع شملهِ مِنْهُ لَكَ المكسُوبُ والمولودُ
فإذا انتسبت عددت أعلام العُلى حيث البسالة والتقى والجودُ
أما القديمُ فخزرجُ الفَخرِ الألى لهمُ طريفُ مكارمٍ وتليدُ

تبدأ

الابيات بتأكيد مقدرة الانا على ابتكار المعاني التي تصبو الذات لتحقيقها وتوكيد (الأنا)، نراه يقتحم باب الفخر برفعة النسب، وواضح ان الأنا تصدر في رؤيتها هذه تصوير وجود(الأنا) بموازاة الآخر(الممدوح)، لأنه يعود الى ذات النسب الذي يرجع اليه الشاعر، وبذلك فقد وحّد النص "الأنا" مع

"الاخر" ، وقد اتخذ هذا الحكم التعميمي الذي لم يقيّده أي احتراس ليتشكل وجود واحد يحمل الأول على الثاني.

ويتنامى التواصل لـ(الأنا) مع (الآخر)، في قصائد ابن الجياب المدحية ليصور المثل الاعلى في شخصيته الانسانية، ليكون الآخر الصورة المتخيلة التي يحاول أن يعكسها في خطابه(صلاح صالح، 2003، ص10)،فيقول(ديوان ابن الجياب، ص409):

وهو ليث عند اختصام العوالـي وهو غيث عند اقتسام النوافل
من بني نصر الألى شيّدوا المجد بيـأس مـاض وحلـم ونائـل
يـا إمـام الهـدى وربّ الأيـادي وسمام العدا وقطب الفضائل

ينطلق ابن الجياب بإسباغ افضل الصفات على ممدوحه، ليكون بمستوى طموح الشاعر(الأنا) الذي حاول تقديم النموذج المثال من خلال مديحه له، فقد حشد لهذا المديح زخماً فكرياً مؤثراً على مستوى الابداع الفني من جهة، وعلى مستوى الالتزام الخلقي الذي يتمتع به هذا الملك من جهة أخرى، وقد تهيأ للشاعر رفد النص

بمكونات الإبداع من خلال رسم غاية في الجود، لتصبح قانوناً ودستوراً مهماً لدى الرعية يجسد الصورة المثال، ولا تلبث ان تكون "الأنا" في موضع المشاركة لـ(الآخر) لتأكيد الجود والبسالة، يقول(المصدر نفسه):

يا أيها المولى الذي أعمالهُ ... أحيتْ سَبِيلَ أبيهِ والأجدادِ
جُدٌ يفيضُ على البلادِ وأهلها ... يَقضي بأنَّكَ واحدُ الأجوادِ
وبسالةً نحو العدا فتكاتُها ... مثل الظُبي سُلّتْ من الأغمادِ
فَحمى عرينكِ مَربضُ الأسادِ ... ونَدي يَمينكَ مشرَعُ الورادِ
فمكارمُ آثارُها مأثورةٌ ... برزت فيها سابقَ الأمجادِ

فـ(أناه) هي (أنا) القوة والاقتدار، فتظهر في هذا النص الشعري صورة الفارس البطل الذي تتمثل فيه مظاهر القوة بكل أبعادها، ولا أعني بذلك القوة الجسمانية وتحقيق الانتصارات على الخصوم فحسب بل أعني بذلك القوة الاخلاقية وقيمتها، وهذه هي القيمة المثلى التي يجسدها النص بكل أبعاده وعناصره، وإذا كان الكثير من فلاسفة الاخلاق" قد نظروا الى القوة على انها فضيلة او قيمة، فما ذلك إلا لأن القوة تأكيد مليء تام للوجود الشخصي، إذ يتحقق الاشباع الحقيقي لكل من قوى الجسم وقوى النفس على حد سواء"(زكريا ابراهيم، 1969، ص254)، فهذا الانموذج للإنسان هو الذي تتجسد فيه كل الفضائل، ويمكننا القول ان الخطاب وان كان موجهاً لـ (الآخر الممدوح)، الاّ إنه المنفذ الفني والجسر ليمرر من خلاله كل ما يريد قوله عن شجاعته وفروسيته.

2- الأنـــا والآخـــر المكـــان :

إن علاقة الانسان بالمكان وثيقة الصلة عن طريقه يجد ذاته وعليه يجري فعالياته المختلفة، فالإنسان أكثر المخلوقات التصاقاً بالمكان، وقد تناول الفلاسفة هذه العلاقة، فالفلاسفة الاغريق قد تأملوا المكان وأكثروا من تصوره، فهو عندهم يجسّد البعد المجرد الموجود، وهو عند افلاطون "إطار موجود بالضرورة منذ الأزل، مستقل عن الصانع".(عبد الرحمن بدوي، 1955، ص53) وللمكان عند ابن الجياب خصوصية، فقد شغف به، وجعله منطلقاً لنتاجه، من خلال حركته فيه فقام برسم جمالياته، فالمكان هنا هو جزء من ذات الشاعر، لذلك يقف عليه، فيعمد الى الفخر والتباهي بما أبدعته أنامل الفنانين وبراعة البنائين، فيقول(ديوان ابن الجياب، ص281):

قد شرَّفَ الحمراءَ برجُ مشرفُ ... في الجوَّ دَبَّرهُ الإمامُ الأشرفُ
قَلهرة فـي ضِمنِها قَصـرٌ فَقل ... هي معقِلٌ أو للبشائرِ مألفُ

حِيطـانُها فيـها رقـومٌ أعجـزت أمَدّ البليغ فَحسنُها لا يوصفُ
راقـت ونـاظرَ كـل شَكـل شكـلهُ في نسبة فموشح ومصنفُ
مهما لحظت رأيت نقشاً وشيت أنواعه فمذهب ومزخرفُ

تكشف هذه الابيات عن رغبة الـ(أنا) الاكيدة للالتصاق بالمكان، فهو جزء من ذات الشاعر، فالإحساس به يبدو عارماً لديه، ثم ان ارتباط الشاعر بالمكان يبدو روحياً، فقد كان لهذه الابيات مفعول ساحر في بعث روح الشاعر كلما مر القارئ من هذا المكان ،إذ عبر المكان يمكن (للأنا) أن تحقق لنفسها الانتصار، وأن تسترد ما تسلبه منها الحياة ،وهذا هو شأن ابن الجياب الذي يريد أن يستبق الجميع لينطلق الى تحقيق الذات، يقول في أبيات نقشت على باب مدرسة بعد وفاته(ديوان ابن الجياب، ص285):

يا طالب العلـم هذا بَابُـهُ فُتِـحَا فادخُل تُشاهد سَناهُ لاحَ شمسَ ضُحَى
واشكُرْ مُجِيرَكَ من حَلَّ وَمرتَحلِ إذ قَـربَ اللهُ مـن مَرمـاكَ ما نَزَحا
وَشَرفت حَضرة الإسلام مدرسةً بها سبيلُ الهدى والعلمِ قَد وَضُحا
أعمـالُ يـوسـف مولانـا ونيتُـهُ قد طُرزَت صُحفاً ميزانُها رجحا

واستكمالاً لتقديم صورة الأنا الفاعلة يلجأ الشاعر الى استحضار بعض الانجازات الملموسة في واقعها التي قام بها ملوك بني الاحمر ،من خلال هذا السياق تريد (الأنا) إيصال صوتها للمتلقي ليتعرف على مكنوناتها، ولعل ذكره للمدرسة كان مدعاة للتباهي والفخر بامتلاك مدينته غرناطة للعلم، إذ تبدو الأنا حريصة على إبراز الثقافة والتعلم ، وبذلك فان الانا حريصة على ابراز مكامن الذات في حبها للتعلم وفي مشهد آخر يكشف عن رغبة (الأنا) الاكيدة للالتصاق بقصر الحمراء، فالإحساس بجمالها يبدو عارماً لديه، ومن ثُم يؤكد ارتباطه الروحي بقصر الحمراء، إذ عبر المكان يمكن (للآنا) أن تحقق لنفسها الانتصار، وأن تسترد ما تسلبه منها الحياة، وهذا هو شأن الشاعر ينطلق لتحقيق الذات، يقول(ديوان ابن الجياب، ص411):

يا قصـر نجـد أنـت أكـرم منـزلاً فلقد شفعت الحسن بالإحسان
فافخر على كل القصور وإن تشأ فأفخر على الأمصار والبلدانِ
لـك فـي الجمـال مزيـة ما مثلها لقصـور بغـداد ولا غمـدانِ
فلقد جمعـت محـاسنـاً وبدائـعا جازت مدى الأفكار والأذهانِ
فكأن قبـتك العـروس تبرّجـت عند الزفاف بحسنها الفتانِ

والشمس ترقم من وراء زجاجها أثواب وشي جمة الألوانِ

راقت جمالاً فهي معترك الوغى حيناً وحيناً مكنس القرلانِ

يبدو ان هذا الالحاح في وصفه لقصور الحمراء، يهدف من خلاله الشاعر الى إظهار قوة التعلق والالتصاق بغرناطة موطن الاباء والاجداد، فضلاً عن كون هذه القصور تمثل للشاعر حياة فعلية، وعليه تقوم كل أفعاله، فالمكان أذن هو آلة (الأنا) التي يواجه بها الشاعر استلاب الزمان.

3- أنـــا التفـــكر والحكـــمة :

تقوم الحكمة على التبصّر والتأمل في الحياة وشؤونها، وهي خلاصة التجربة الإنسانية، التي يبثها الشاعر في ثنايا شعره، وهي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة ما للإنسان وما عليه، ومعرفة الخير لأجل العمل به(ينظر: جميل صليبا، 1978، ص491-492). فالحكمة هي درجة الوعي الفكري تجمع بين معاني عامة تأتي دائماً عن طريق تجربة او نظرة الى الحياة(ينظر:احمد كمال زكي، 1969، ص281)، وهي من أكثر الموضوعات الشعرية التي تكشف فيها مقدرة الشاعر الفكرية ونظرته المتأنية للأمور ودقائقها.وفي إطار الحكمة نتوقف عند مجموعة من أبيات ابن الجياب، لنستشف ما تستشعر به (أناه) من قهر الزمن وسطوته، إذ راح يعظ الناس ويحذرهم، فيدعوهم للزهد في الدنيا وهجر ملذاتها الزائلة، يقول(ديوان ابن الجياب، ص178):

تبتَ على عَهدِ الصبا غَيرَ نَاكثِ وبدرتَ مهواة الهوى غيرَ رَائِثِ

ثقيل عليكَ الجدُ من نهي ناصحٍ خفيفٌ لديكَ الهَزْلُ من سعي عابثِ

ثنيت الى الدنيا العنانَ جهالةً لتَمسكَ منها بالحبالِ الرثائثِ

ثلاثاً فطلقها ولا تنوِ رجعةً لَها فَهيَ في التَّحقيقِ أمُّ الَخبائثِ

ثُكلت فما وَفّيتَ حقاً لسائلٍ ولكن جَمعتَ المالَ حَطماً لوارثِ

فـ(أناه) في هذا المقطع الحكمي، أنا الحنكة والخبرة، لنقل تجربته في الحياة الى الآخرين، لذا نلتمس أن (أنا) الشاعر تهيمن على هذا الخطاب الموجه الى (الآخر) الناس، من خلال صيغتي الامر والنهي (فطلقها، لا تنو)، فالشاعر يذم الدنيا، ويشبهها بالمرأة ، حاثاً على طلاقها، دون رجعة، فهي "أم الخبائث".كما تتمظهر (الأنا) في صورة اخرى، صورة قائمة على تحويل ما هو ذهني الى شيء محسوس ومجسم، إذ يقول(ديوان ابن الجياب، ص180):

حجبت ونور الحق أبلجُ واضحُ فلا الصدرُ مشروحُ ولا السعي ناجحُ
حُسامكّ في حربِ الجهالةِ صارمُ وطـرفك فـي شـأو البطالةِ جامـحُ
حرمت فلا وجه عن الغي صادفُ وغبت فلا القلبُ الى الرُّشدِ جانحُ
حــذارِ حــذارِ إن للـقبـر ضـمـةً إذا نضــدت فيـه عليك الصفائـحُ
حسابُكَ مسطورٌ فلا تنسى يومهُ وقد شهدت بالحق فيه الجوارحُ

فـ(الأنا) تنجح في توليد صورة الغافلين في الحياة الدنيا، المبتعدين عن الدين، بالرغم من وضوح الحق(فهو أبلج واضح)، ولعل تواتر هذه الصور هو تجسيد حقيقي لرغبة (الأنا) لتسدي جملة من النصائح والمواعظ التي تمثل حصاد التجربة التي أكسبتها الدراية بالحياة ،فـ(الأنا) في هذا السياق تنظر الى (عذاب القبر وساعة الحساب)، على انه قدرها الذي ينتظرها، ولعل ما يؤكد ذلك هو تكرار فعل الامر (حذارَ) ليدل على حتمية الموت.

4- الأنـــا وآفـــاق رؤيـــــة الحياة والمـــوت:

تمثل أبيات الشاعر خلاصة رؤيته للحياة والموت، فيمضي في مقاربة "الأنا والآخر" على نحو شديد العمق والاستقصاء، عندما يعرض لمظاهر التوتر الذي يعتري المرء عندما يُصبح "الآخر" مواصلاً لـ(الأنا)وبشكل يصعب الفكاك منه، فقد رثى ابنه في قصيدتين رائعتين عاطفة وفناً، يقول في مطلع الاولى(ديوان ابن الجياب، ص262):

هو البينُ ظناً لا لعلَّ ولا عَسَى فما بالَ نفسي لم تفض عنده أسى
ما لفؤادي لم يَذبْ منْهُ حسرةً فتباً لهذا القلب سُرعان ما نسّى
وما لجفوني لا تفيض مورداً مع الدمع يَهمي تارةً وموّرسا

تتبلور (الأنا) لدى الشاعر مؤطرة بالدموع والاحزان لفقد أبنه ـ واقع مليء بالحزن والأسى ـ فالبكاء سمة الواقع الذي يحيى فيه الشاعر مؤمن بالقدر وأحواله، فابنه قد مات ولا عودة له، وصورته الباكية هي الصورة الواقعية التي يجسد من خلالها انعكاس لـ (الأنا) ، فهو على أي حال" ينجذب الى قطبين يستقطبان الواقع المدرك والحدس المنفعل بهذا الواقع، وهما تبعاً لذلك يستقطبان الصياغة الفنية، فتبدوا القصيدة في جدلية مع الزمن حيث الوجود الذاهب والفقد الواقع، ومن ثم تتشكل بنية مزدوجة الدلالة منها ؛ ذلك ان الموت ينظر اليه من خلال كائن حي يعانيه ويعايشه، كما ان الحياة منظور اليها من خلال كونها مرحلة موقوتة او من خلال كونها مقدمة قصيرة لهذا الموت"(. مصطفى عبد الشافي الشورى، 1995، ص139)، فالمفردات التي جاء بها الشاعر قد جسدت واقع (الأنا) تجسيداً

حياً، فقد جاءت كلها مأساوية حزينة تفيض بالألم وعمق الاسى تنطلق من واقع مؤلم يعيشه الشاعر بفقده (للآخر) ولده، كونه يُشكل حقيقة مفارقة للذات، بعد ان كانت (الأنا) متوحدة مع (الآخر) متصلة معه وبشكل يصعب الفكاك منه، فجاء هذا التوحد بين (الأنا والآخر)، نقطة الانطلاق نحو تجسيد الواقع لرسم الحلم او الطموح الذي يسعى اليه المتمثل في إظهار مناقب ولده وتعداد فضائله، فيقول(ديوان ابن الجياب، ص265):

لله ذاك القبر ماذا ضمّ من فضل الحجى ومحاسن الآدابِ
وسماحة ورجاحة وأمانة وصيانـــة وطهـــارة الاثـوابِ
وشمائل مرضية معسولةٍ كالشهد ممزوجاً بماءِ سحابِ

فهذه السمات المثلى التي أطلقها الشاعر على أبنه قد عززت عظم الفجيعة وأعطت تبريراً كبيراً لصورته الباكية الحزينة (لأناه)، وكأنه يريد أن يعطي تبريراً لحزنه وعمق أساه واشتداد ألمه ، (فالأنا) بدأت تفيق للواقع المؤلم، ولتخفف من أنّاتها الموجعة وصرخاتها الفاجعة، لتحيا على حلم جميل تعزز من خلاله قدراتها الفنية وطاقاتها الابداعية، ويكون الدعاء خير دواء يشفي علتها، فيقول(المصدر نفسه):

كُنّ في كفالةِ أحمد خير الورى فلنا به زُلفى وحسنُ مآبِ
وتغمدتكّ من المهيمن رحمةً موصولة ممدودة الأطنابِ
حتى أراك مُكرمـاً ومنعمـاً في الخُلد بين كواعب أترابِ

ويقول أيضاً(المصدر نفسه):

أما شُعوبٌ فخيّمت بشعابِ فسطت عليَّ وقطّعت أسبابِي
لم يكفها أنّي فقدت شبيبتـي وكفى به رزءاً فراقُ شبابي
حتى رَمَتني صائباتُ سِهَامِهَا بعد الصَّبا بتفاقُدَ الأحبابِ
مـدَّت إلـيّ يَمينَـها وشِمالَـها صلة القطوعِ وهَجمةَ النّهابِ
فاستأصلت أصلي وفرعي أهلكت أبويّ ثم تعقّبت أعقابـي

وهكذا فإن حركة الأنا الشاعرة تبدو مشددة على قطبين متعارضين :قطب الخوف الذي يستبطن نفسية الشاعر، ويمتلك عليه أحاسيسه ومشاعره، وقطب الموت الذي سلبه احبابه كلهم فلقد سلبه ابواه ثم بعد ذلك سلبه اولاده.

5- الأنـــا والآخـــر المـــــرأة في مقدمـــة القصيـدة:

يشكل حضور المرأة في الشعر العربي علامة ظاهرة لما لها من دور عظيم في الحياة، ويمكننا أن نقر برمزية المرأة في القصيدة العربية، ولكننا في الوقت نفسه لا ندعي إن قلب الشاعر لا يخفق حُبّاً، فكّما إن الحبيبة تمثل عنصراً مهماً وحيوياً في القصيدة، فهي تمثل أيضاً جزءاً أصيلاً في الحياة، فقد كان الشاعر يرمز بها الى مدى تعلقه بممدوحيه تارة وبأصدقائه تارة اخرى، فالحديث عن الحب يوجب التكلم عن أثنين، حبيب ومحبوبة، وهذا ما يؤكد أنّ (الأنا) لا يمكن أن تستغني عن (الآخر) لعمق الصلة بينهما (ينظر:سعد حمد الراشدي، 2005، ص60)، ولعل أصدق مثال لهذه الصورة، في قوله(ديوان ابن الجياب):

صـبّ شـجٍ يـرِددُ التطلّـعا إذا بدأها وميضُ برقٍ لمعا
متـيـمٌ ينعـش بـالبـرقِ إذا ما لاحَ منْ نحو حبيبٍ ودّعا
فإن سّرى النسيمُ نحو أرضهِ أودعه من شوقهِ ما أودعا
يا نظرةً أرسَلـها مُختلسـاً صار لها القلبُ المعنّى تَبعا
كم ليلة باتَ بها مُراقباً فيها النجـومَ غُرّبـاً وطُلّـعا
شوقاً إلى أيامِ وصلٍ لم يزل مبلـغاً فيـها المُنـى ممتـعا

تبدأ هذه القصيدة بموضوع الغزل الذي يتخذ منه الشاعر ـ فيما يبدو ـ إطاراً رمزياً للتعبير عن كوامن الذات وشواغلها ،فتركيز (الأنا)في هذه اللوحة ينصب على حقيقة جوهرية في الحب، التي تبقينا ندور في فلك الحقيقة الوجودية التي تفترض الانتظام الثنائي الذي يحكم حركية الوجود، ثنائية الرجل والمرأة، قطبان يستقطبان الحسّ والانفعال والأدراك، وهما لذلك يستقطبان اللغة نفسها(ينظر: كمال ابو ديب، 1979، ص65). فيتكشف للرائي ان حديث الشاعر وهو يصور شوقه الى محبوبته، وقد بات ساهراً يراقب النجوم منتظراً طلوع النهار، إنما يرمز بها الى مدى تعلقه بممدوحيه، وهذا ما يؤكد عمق الصلة بين (الأنا) و(الآخر). ثم تقف (أناه) عند أبعاد العواطف الإنسانية لرسم عمق العلاقة بين (أنا) الشاعر و(الآخر)الممدوح، فيرسم صورة للمرأة "تكشف عن نوع من احتشاد الذات بمقومات المواجهة النفسية والجسمية كي تظل محتفظة بما يصلها بمقوّمات سعادتها وأنسها(ينظر:صلاح رزق، 2009، ص153)، إذ يقول(ديوان ابن الجياب، ص126):

زارت تجـرُّ بنـخـوة أذيـالـها هيـفاء تخـلطُ بالنَّفـار دَلالـها
فالشمس من حسد لها مصفرةٌ إذا قصرت عن أن تكون مثالها
وافـتك تمـزجُ لينـها بقسـاوةٍ قد أدرجت طيّ العتاب نوالـــها
كم رمـت كتـم مزارها لكنّـــه صَّحـت دلائـل لم تُطـق إعلالـها
تركت على الارجاء عند سيرها أرجاً كأن المسك فّتَّ خلالها

مـا واصلتـك محبـةً وتفضّـلاً لو كان ذاك لواصلت إفضالها

لكن توقعت السلوّ فجددت لك لوعـةً لا تتقـي ترحالـها

ويستمر الشاعر مصوراً شغفه بمحبوبته، بصورة تتفاعل فيها الـ(أنا)مع (الآخر)، وكأنها تجربة حية، فالذات في حركة دائمة في اتجاه (الآخر)، ولكي تبلغ الذات (الآخر)، لابد من أن تتجاوز نفسها ، ففي الآخر تجد الذات حضورها على نحو مفارق للهوية(ينظر:أدونيس، 1995، ص166)، فيقول(نثير الجمان، ص133):

حسنّت نظم الشعر في أوصافها إذ قبّحت لـك فـي الهـوى أفعالـها

يا حُسن ليلة وصلها، ما ضرّها لـو أتبـعتّ مـن بـعدها أمثـالها

لمـا سكرت بريقهـا وجنونهـا أهملـت كـأسك لـم تُـرد اعمـالها

في جنة تجلو محاسنـها كـما تجلو العروس لدى الزفاف جمالها

وعندما يستقبل الشاعر مراسلات أصدقائه الشعرية، يلتفت الى المرأة ليأخذ منها صفاتها الجميلة، وما تتميز به من صفات حسية ومعنوية ليرمز بها الى القصيدة الشعرية التي نالت إعجابه، وهكذا تتحول المرأة بجمالها الباهر وحسنها الرائع الى رمز لسعادة (أنا) الشاعر ونشوته بما يتلقاه من شعر، وبذلك تتجسد ثنائية الرؤيا في التصوير اللغوي مع ثنائية الرؤيا في التصوير الكوني في تجسيد سياق النص ومرجعيته الفكرية لخلق توازن بين الفكر والحس(ينظر:عبد القادر فيدوح، 2009، ص36)، فيقول(نثير الجمان، ص437):

فضائلك الحسنـى عليَّ تواتـرت بمنهمر من سُحب فكرك غيداقِ

خـزائـنُ آداب بـعـثـت بِـدُرُّها إليّ ولـم تُمـنن لخـشية إنفـاقِ

ولا مـثـل بـكـرٍ حُـرّةٍ عـربّـيـةٍ زكـيـة أخـلاقٍ كـريمـة أعـراقِ

فأقسم ما البيضُ الحسانُ تَبرجَّت تناجيلُ سّراً بين وحي وإطراقِ

فـ(الأنا) في هذا السياق كانت مشغوفة بجمال القصيدة، لذلك التفت الشاعر الى المرأة ليأخذ منها صفاتها الجميلة، وما تتميز به من صفات حسية ومعنوية، ليرمز بها الى القصيدة الشعرية التي نالت إعجابه، وقوله أيضاً مخاطباً ابن الخطيب(الاحاطة، ص139):

نـتـيـجة آداب وطـبـع مـهـذب أطـال مـداه في البـيان وأعـرضـا

ولا مـثـل بـكرٍ بـاكرتـني آنـفـا كـزورة خـل بعـدمـا كـان أعـرضـا

هي الروضة الغناء أينع زهرها تـنـاظـر حـسنـاً مـذهبـاً، مفضفضا

أو الغادة الحسناء راقت فينقضي مدى العمر في وصفي لها وما أرتضى

اذن فالعلاقة بين الشاعر والمرأة التي يتغزل بها، هي نتيجة حتمية للعلاقة بين الـ(أنا) و(الآخر)، الذي يقدمه الشاعر، وربما أراد الشاعر له أن يكون هكذا، وهذه العلاقة هي الخيط الناسج للنص الابداعي حتى وإن كانت مصطنعة في الخطاب الفكري.

الخاتمـــــــة:

نستنتج أخيراً : ان العلاقة بين (الأنا) و(الآخر) في شعر ابن الجياب، متغيرة تبعاً للتغيرات التي يعيشها الشاعر، وقد تنوعت أشكالها، ويأتي في مقدمتها:

1- اعتزاز الأنا بما يصدر عنها أو بما تنجزه، وقد حرصت صورتها الممتلئة بالفخر على ابراز مناحي تميزها ؛ ربما وجدت الذات في المدح سبيلاً لتعزيز الفخر الذي نلمح فيه صوراً من المبالغة التي تشير الى حب الاستعلاء.

2- تتحد (الأنا)عند ابن الجياب مع والمكان بانتهاج خطاب يعُد منفذاً يكشف عن رغبة (الأنا) وتعلقها بغرناطة موطن الاباء والاجداد، فالمكان هو آلة (الأنا) التي يواجه بها الشاعر استلاب الزمان.

3- تقدّم الأنا لنفسها صورة واضحة للحكمة ، إذ تبدو هذه الأنا واثقة مطمئنة بما تتملكه من قدرات وإمكانات ، تتمثل على نحو واضح في التأكيد على الحنكة والخبرة ، وهي القيمة التي ظلت ـ انا الشاعر ـ تحرص على إبرازها لنقل تجربته في الحياة الى الآخرين لتجاوز العابر والظرفي الى ما هو اكثر بقاء وديمومة.

4- إن تضخم الأنا تبدو بديهية في آفاق رؤية ابن الجياب للحياة والموت، إذ ان جدلية الحياة والموت قد شغلت ذهن الشاعر، فالموت قوة سالبة أحس ابن الجياب بضعفه أمامها وعجزه عن مواجهتها وتتكشف مواجهة الأنا مع الآخر عن صور من التوجس من فقد احباته .

5- ظلت المرأة تشكل فكرة محورية ، فقد كان الشاعر يرمز بها الى تعلقه بممدوحه تارة، وبأصدقائه تارة أخرى، وأن العلاقة بين الشاعر والمرأة التي يتغزل بها ، كانت نتيجة حتمية للعلاقة بين الأنا والآخر الذي يقدمه الشاعر، حتى وان كانت مصطنعة في الخطاب الشعري.

المصادر :

1- إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، د. عبد القادر فيدوح، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، 2009م.

2- ينظر: أسرار الشخصية وبناء الذات، أنس شكشك، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2009م.

3- دليل الناقد الادبي، د. ميجان الرويلي، د. سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط5، 2007م.

4- ينظر : صورة الآخر في التراث العربي، د. ماجدة حمود، منشورات الاختلاف، بيروت، ط1، 2010م.

5- الآخر وآثره في شعر الاعشى الكبير، احسان الديك ،مجلة جامعة النجاح، الوطنية، نابلس، ع9، 2003م.

6- مشكلة الانسان، د. زكريا ابراهيم، دار مصر للطباعة، د.ت.

7- ينظر: تمثلات الأنا والآخر في رواية ظل الشمس، طالب الرفاعي، فصول، 2010م.

8- الآخر في شعر أبن زيدون، رسالة ماجستير، عبد الحافظ خلف صالح السبعاوي، كلية التربية، جامعة الموصل، 2012م.

9- ابن الجياب الغرناطي(حياته وشعره)، د. علي محمد النقراط، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع .

10- ينظر: الأنا والآخر(الأنا والآخر في اللغة السردية)، صلاح صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1 ، 2003م.

11- المشكلة الخلقية، مشكلات فلسفية، د. زكريا ابراهيم، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1969.

12- ينظر الزمان الوجودي، د. عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصري،القاهرة، ط2، 1955م .

13- ينظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، 1978م.

14- ينظر: شعر الهذليين في العصر الجاهلي والاسلامي، د. احمد كمال زكي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1969م، ص281 .

15- شعر الرثاء في العصر الجاهلي - دراسة فنية- ، د. مصطفى عبد الشافي الشورى، الشركة المصرية الداعية للنشر ، لونجمان، ط1، 1995م.

16- ينظر: الآخر في شعر المتنبي، رسالة ماجستير، سعد حمد الراشدي، كلية التربية الاساسية، جامعة الموصل، 2005م.

17- ينظر جدلية الخفاء والتجلي، دراسة بنيوية في الشعر ، كمال ابو ديب ، دار العلم، للملايين، 1979م .

18- ينظر: كلاسيكيات الشعر العربي في المعلقات العشر، دراسة في التشكيل والتأويل ، د.صلاح رزق ، ج2 ،دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2009م.

19 - نثير الجمان لأبن الاحمر، تح وتقديم د. محمد رضوان الداية، وصدر تحت عنوان(أعلام المغرب والاندلس) مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1987م. نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب، للمقري التلمساني، تح د. احسان عباس ، دار صادر، بيروت، 1968م، ج5 . الاحاطة في أخبار غرناطة، لابن الخطيب، تح محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1977م .

20 - الصوفية والسوريالية، أدونيس، دار الساقي، بيروت، ط2، 1995م.

Sources :

1- Opinions of interpretation, runways of the meaning of poetry, and runways of the meaning of poetry, d. Abdel-Qader Fedouh, Dar Pages for Studies and Publishing, Damascus, 2009.

2- See: The Secrets of Personality and Self-Building, Anas Shaksik, Arab Book House, Beirut, Lebanon, 2009 AD.

3- The literary critic's guide, d. Megan Al-Ruwaili, Dr. Saad Al-Bazai, the Arab Cultural Center, Casablanca, 5th Edition, 2007 AD.

4- See: The Image of the Other in the Arab Heritage, Dr. Magda Hammoud, Publications for Difference, Beirut, 1st Edition, 2010.

5- The Other and Its Impact on the Poetry of Al-Asha Al-Kabeer, Ihssan Al-Deek, An-Najah University Journal, Al-Watania, Nablus, Vol. 9, 2003 AD

6- The problem of man, d. Zakaria Ibrahim, Dar Misr for Printing, d.

7- See: Representations of the Ego and the Other in the novel “Shadow of the Sun” by Talib Al-Rifai, Fosul, 2010.

8- The Other in the Poetry of Ibn Zaidoun, Master Thesis, Abdul-Hafiz Khalaf Salih Al-Sabawi, College of Education, University of Mosul, 2012 AD.

9 .Ibn Al-Jiyab Al-Gharnati (his life and poetry), Dr. Ali Muhammad Al-Nuqrat, 1st floor, the Jamahiriya House for Publishing and Distribution.

10- See: The Ego and the Other (The Ego and the Other in the narrative language), Salah Saleh, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 1st Edition, 2003 AD.

11- The moral problem, philosophical problems, d. Zakaria Ibrahim, Misr Press, Cairo, 1969.

12. consider the existential time, d. Abdel Rahman Badawy, Al-Nahda Al-Masry Library, Cairo, 2nd floor, 1955 AD.

13- See: The Philosophical Dictionary, Dr. Jamil Saliba, The Lebanese Book House, Beirut, C1, 1978 AD.

14. See: Huddly’s poetry in the pre-Islamic and pre-Islamic era, d. Ahmed Kamal Zaki, Arab Book House for Printing and Publishing, Cairo, 1969, p. 281.

15- Lamentation Poetry in the Pre-Islamic Era - Technical Study, Dr. Mostafa Abdel-Shafi El-Shoura, The Egyptian Publishing Company, Longman, 1st Edition, 1995 AD.

16- Looking at: The Other in Al-Mutanabbi's Poetry, Master Thesis, Saad Hamad Al-Rashidi, College of Basic Education, University of Mosul, 2005 AD.

17- See the dialectic of invisibility and manifestation, a structural study of poetry, Kamal Abu Deeb, Dar Al-Alam, for millions, 1979.

18- See: Classics of Arabic Poetry in the Ten Mu'allaqat, A Study of Formation and Interpretation, Dr. Salah Rizk, Part 2, Dar Gharib for Printing and Publishing, Cairo, 1st Edition, 2009 AD.

19- Nathir Al-Juman by Ibn Al-Ahmar. Muhammad Radwan Al-Dayeh, published under the title (Flags of Morocco and Andalusia), The Resala Foundation, Beirut, Lebanon, 2nd Edition, 1987 AD. Naft al-Tayeb in the branch of al-Andalus al-Rutayb, to the headquarters of Tlemceni, ed. Ihssan Abbas, Dar Sader, Beirut, 1968, Part 5. The Briefing in the News of Granada, by Ibn Al-Khatib, Under Muhammad Abdullah Anan, Al-Khanji Library in Cairo, 1st Edition, 1977 AD.

20- Sufism and Surrealism, Adonis, Saqi House, Beirut, 2nd Edition, 1995 AD.